MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE

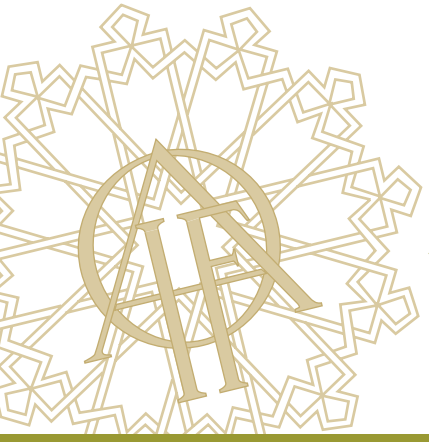

ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 24 (1989), p. 1-13

Ayman Fuʾād Sayyid

ʾidāratha wa miṣrīya-al ʿāṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين fi zaman al-faṭimīyyīn.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724710540	*Catalogue général du Musée copte*	Dominique Bénazeth
9782724711233	*Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales 40*	Emmanuel Pisani (éd.)
9782724711424	*Le temple de Dendara XV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni, Youssreya Hamed
9782724711417	*Le temple de Dendara XIV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni
9782724711073	*Annales islamologiques 59*	
9782724711097	*La croisade*	Abbès Zouache
9782724710977	*???? ??? ???????*	Guillemette Andreu-Lanoë, Dominique Valbelle
9782724711066	*BIFAO 125*	

© Institut français d'archéologie orientale - Le Caire

ولا نستطيع أن نعرف بدقة إذا كان المحتسب موظفًا حكوميًا بمعنى الكلمة كما يبدو ذلك واضحًا من كتب الحِسْبة التى كتبت ابتداء من بداية العصر الأيوبى ، أو كان رئيسًا لطائفة حِرَفية ، فمعلوماتنا عن العصور الإسلامية الأولى لا تفيدنا فى التعرُّف على نشأة أية تجمعات خاصة ذات دور حِرَفى . ولكننا نجد فى كتاب « إغاثة الأمة » للمقريزى نصًا يحوى سلسلة من الإشارات الدقيقة عن الحياة الاقتصادية فى مصر فى منتصف القرن الخامس الهجرى وعن ذكر الأسواق والطوائف والعُرَفاء والحِسْبة .

يشير هذا النص بوضوح إلى أنه كان هناك إلى جانب المحتسب وأعوانه ، الذين يمثلون فى الحقيقة الحكومة الفاطمية ، كان لكل سوق من أسواق الفسطاط فيما يخص إشرافه الداخلى رئيسٌ مفوَّض عنه فى الاتصال بالحكومة يعرف بالعَرِيف[٦٥] ، وكذلك كان لكل طائفة رئيس مماثل فابن المأمون يحدِّثنا عن عُرَفاء السقائين[٦٦] .

أما القاضى فقد كان موظفًا دينيًا أصلًا ، وكان واجبه الأول إقامة العدل على أساس الشريعة ، ومن ثم فقد كان من الضرورى أن يكون ضليعًا فى الفِقْه خبيرًا بأحكامه . يقول ابن الطُّوَيْر : « لا يتقدَّم عليه أحدٌ أو يحتمى عليه ، وله النظر فى الأحكام الشرعية ودور الضَرْب وضَبْط عيارها »[٦٧] ، وإذا كان وزير الدولة صاحب سيف كان تقليده من قِبَله نيابةً عنه وإن لم يكن كان تقليده من الخليفة وكان له نُوّابٌ ينوبون عنه فى سائر الإقليم يعرفون بنوَّاب الحُكْم ، وكان لا يعدِّل شاهدًا إلَّا بأمر الخليفة[٦٨] .

وكان القاضى يجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر بالقاهرة ، ويجلس يومى السبت والثلاثاء بزيادة الجامع العتيق بمصر[٦٩] .

وكان أهم اختصاصاته مصاحبة الخليفة فى المواكب العظام والوقوف بجانبه عند صلاة الجمعة أو صلاة العيدين[٧٠] وهو الذى يضع النَّصْل فى نَحْر الضحية فى عيد النحر نيابة عن الخليفة[٧١] ، كما كان من اختصاصاته كذلك الصلاة على الجنائز[٧٢] وكان يتقاضى راتبًا قدره مائة دينار فى الشهر[٧٣] .

* * *

(٦٥) المقريزى : اغاثة الأمة ١٨ – ١٩ والمقفى (مخ السليمية) ٣٦٢ ظ وانظر كذلك أبا المحاسن : النجوم ٥ : ١٨٤ .

(٦٦) ابن المأمون : أخبار ٦٩ – ٧٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٣ والاتعاظ ٣ : ١٠ .

(٦٧) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٣ .

(٦٨) نفسه .

(٦٩) نفسه ، ناصرى وخسرو : سفرنامة ١٠٢ .

(٧٠) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٥ و ٢ : ٢٨١ (عن ابن الطُّوَيْر) .

(٧١) نفسه ١ : ٤٣٦ و ٤٣٧ (عن ابن الطُّوَيْر) .

(٧٢) المسبحى : أخبار ٩٧ و ١٠١ و ١٠٥ .

(٧٣) ناصر خسرو : سفرنامة ١٠٩ يذكر أن راتبه ألفى دينار ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٠ والخطط : ١ : ٤٠١ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين .faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

يصل إلى كل ساكن من سكان الحارات من الغرباء ، أرسل المأمون من قِبَله نساءً يدخلن هذه المساكن ويتعرَّفن أحوال سكانها الداخلية ولمعرفة إذا كان هناك غرباء يقيمون فى البلدين بحيث أصبح لا يخفى عليه شيء من أمرهما[٥٨] .

صاحب الرُّبْع

كان لكل قطاع سكنى أو حارة فى العاصمة (القاهرة والفسطاط) مشرف خاص بها يسمى « صاحب الرُّبْع »[٥٩] . كان هذا الموظف هو وأعوانه أوَّل من يتحرَّكون عندما يُهَدَّد النظام العام . وكان من اختصاصاته جمع سكان الحارة وقيادتهم للقاء الخليفة عندما يدخل فى موكب عام إلى المدينة[٦٠] .

ونعرف عن طريق وثائق الجنيزة أن مصاريف تكاليف العناية بالشوارع كانت واجبة على المبانى التى تحدُّها . وكانت عملية الإصلاح تتم تحت إشراف صاحب الربع أو الملاك أنفسهم[٦١] .

ثانيًا : المُحْتَسِب والقاضى

وإذا جاز لنا أن نعتبر الوالى وصاحب الشرطة موظَّفَيْن مدنيين ، لأن واجباتهما لم تكن مرتبطة بالمسائل الدينية ارتباطًا مباشرًا (فيما عدا إشرافهما على الحِسْبة) ، فقد كان المحتسب على عكس ذلك موظفًا دينيًا فى الأساس مثله فى ذلك مثل القاضى .

كانت الحياة فى القاهرة طوال العصر الفاطمى ، أو على الأقل حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، بسيطة خالية من الأسواق العامة تقريبًا بحيث أنها لم تتطلب وجود مثل هذا الموظف ، بعكس الفسطاط المركز التجارى والاقتصادى الكبير العامرة بالأسواق والبضائع مما جعل وجود المحتسب أمرًا ضروريًا للإشراف على الأسواق ومراقبة الأسعار .

كانت مهام المُحْتَسب متنوّعة وتتراوح بين الإشراف على التجارة والصناعة إلى تطبيق الشريعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٦٢] . وكان سجله يُقْرأ بمصر والقاهرة على المنبر وكان له أعوان فى القاهرة والفسطاط وسائر الأعمال كنوَّاب الحُكْم . وكان من العوائد فى الدولة الفاطمية ، دون شك قرب نهايتها ، أن يجلس بالجامع الأزهر وجامع عمرو يومًا بعد يوم[٦٣] . وكان المحتسب يتقاضى مرتبًا شهريًا قدره ثلاثين دينارًا[٦٤] .

(٥٨) ابن ميسر : أخبار ٩٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٠٨ .
(٥٩) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٥١ ، النجوم ٥ : ١٨٥ .
(٦٠) Goitein, S. D., *op. cit.* II, p. 369 .
(٦١) *Ibid* ., IV, p. 40 .
(٦٢) القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٦١ .
(٦٣) نفسه ٣ : ٤٨٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٤ .
(٦٤) الخطط ١ : ٤٦٤ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين .faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

كذلك حدَّد الخليفة فى كل هذه السجلات الثلاثة وضع أهل الفسطاط وطبقتهم فقال إنها مدينة « الفُقَهاء والأتقياء والقُرَّاء والعُلماء »[٥٠] ، « والتجار الذين هم عَيْنُ الحلال والحرام والرَّعِيَّة الذين هم قِوام العيش فى الأيام »[٥١] .

وبعد ذلك يوجِّه الخليفة الوالى إلى اتباع نفس السياسة التى يقوم بها والى القاهرة من حيث الإشراف على النظام والأمن والقيام بواجب المحتسب . وتبعًا لهذه السجلات فقد كان والى الفسطاط يتولَّى بالإضافة إلى عمله ولاية الصناعتين[٥٢] .

وأول ما يقابلنا ذكر اسم والٍ للقاهرة فى المصادر الفاطمية فى أثناء حوادث سنة ٤٩٠ كما يرويها لنا ابن مُيَسَّر[٥٣] وذلك عندما ذكر ذَخِيرة المُلْك جعفر بن عُلْوان الذى عاقب فى هذه السنة عددًا من العامة لسبِّهم الصحابة فى يوم عاشوراء عند مَشْهد السيدة نفيسة[٥٤] . وقد ظلَّ ذخيرة الملك واليًا للقاهرة حتى وزارة المأمون بن البطائحى ، وهذا الوالى هو وسعد الدولة الأَحْدَب ، الذى كان واليًا للقاهرة فى زمن الآمر ، الاسمين الوحيدين اللذين حفظتهما لنا المصادر الفاطمية[٥٥] .

وعندما تولَّى الوزير شاور الوزارة للخليفة العاضد للمرة الثانية بعد انتصاره على ضِرْغام فى سنة ٥٥٩ عَيّن الخليفة ابنه الكامل شجاع نائبًا لأبيه فى الوزارة كما عهد إليه فى سجل توليته بالإشراف على مدينة القاهرة لتأمينها من الفوضى التى أحاقت بها على أيدى حامية الفِرنْج (التى تركها عمورى الأول ملك بيت المقدس) وبسبب انتقال أهل الفسطاط إليها بعد حريق مدينتهم[٥٦] .

وقد أدَّت العناية بتعمير البر الغربى لخليج القاهرة منذ بداية القرن السادس الهجرى إلى ضرورة تعيين والٍ خاص بجامكية لهذا الجانب وإن لم تحدِّثنا المصادر عن طبيعة دور هذا الوالى[٥٧] .

ولعل من أهم الواجبات التى أُسندت إلى والِىّ القاهرة والفسطاط الأمر الذى أصدره إليهما الوزير المأمون البطائحى سنة ٥١٨ وأمرهما فيه « أن يُسَقِّعا له شارعًا شارعًا وحارةً حارةً بأسماء من فيها من السكان وأن لا يمكِّنا أحدًا من الانتقال من منزل إلى منزل إلى أن يخرج أمره بما يعهداه فيه » . لم يكن هذا التكليف بغرض إحصاء السكان وإنما خوفًا من الفرقة الحشيشية . فقد كانت الأماكن الشاغرة تمثل تهديدًا للدولة وعلى ذلك أصبحت المبانى أماكن ممنوعة ولابد من إرسال تقرير عنها إلى السلطات . وعندما وصلت إليه أوراق التسقيع وفيها أسماء أهل مصر والقاهرة وكُنَاهم وأحوالهم ومعايشهم ومن

(٥٠) نفسه ١٠ : ٣٦٦ .
(٥١) نفسه ١٠ : ٣٥١ و ٤٢٣ .
(٥٢) نفسه ١٠ : ٤٢٣ .
(٥٣) ابن ميسر : أخبار مصر ٦٥ ، المقريزى : نهاية الأرب (خ) ٢٦ : ٨٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠ .
(٥٤) ابن المأمون : أخبار ٤٧ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٤١١ واتعاظ ٣ : ٥٥ والمقفى (خ . السليمية) ٢٩٨ ظ .
(٥٥) المقريزى : الخطط ٢ : ١١٤ .
(٥٦) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣١٨ – ٣٢٥ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية (القاهرة ١٩٥٨) ١٦٦ – ١٦٧ .
(٥٧) نفسه ٢ : ١١٤ والاتعاظ ٣ : ٤٣ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٥٨ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

هذه المدينة هى التى أُسِّس علىٰ التقوىٰ بُنْيانُها ، ولها الفضيلةُ التى ظهرَ دليلُها ووَضَح برهانُها : لأنها خُصَّت بفخر لا يُدْرَك شَأْوُه ولا تُدْرَك آمادُه ، وذلك أنَّ منابرهَا لم يُذْكَر عليها إلَّا أئمةُ الهدى آباءُ أمير المؤمنين وأجدادُه ، ثم إنَّها الحَرَمُ الذى أضْحَى تقديسُه أمرًا حتما ، وظَلَّ ساكنُه لا يخَافُ ظُلْمًا ولا هَضْما ، وغَدَتِ النعمةُ به متمَّمةً مكمَّلة »[٤٦] . ثم يُحدِّد وظيفة الوالى ومسئولياته بقوله : « فاشْمَل كافَّة الرعايا بها بالصِّيانة والعِناية ، وعُمَّهم بتامِّ الحِفْظ والرِّعاية وابسُط عليهم ظِلَّ العدل والأَمَنة ، وسِرْ فيهم بالسيرة العادلة الحَسَنة ، وساوِ فى الحقِّ بين الضعيف والقوِىّ ، والرَّشيد والغَوِىّ ، والمِلِّىّ والذِّمىّ ، والفقير والغنىّ ، واعتمدْ مَنْ فيها من الأمراء والمميَّزين ، والأعيان المقدَّمين والشهود المعدَّلين ، والأماثل من الأجناد ، وأرباب الخِدَم من القوَّاد بالإعزاز والإكرام ، وبَلِّغهم نهاية المُراد والمَرَام ، وأقِمْ حدود الله على من وجبت عليه بمقتضى الكتاب الكريم وسُنَّة محمدٍ عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وتفقَّد أمور المتعيِّشين ، وامْنَعْ من البَخْس فى المكاييل والموازين ، وحَذِّر من فسادٍ مُدْخَلٍ على المطاعم والمَشَارب وانْتَهج فى ذلك سبيل الحق وطريق الواجب ، واحظر أن يخْلُو رجلٌ بامرأة ليست له بمَحْرَم ، وافعَل فى تنظيف الجوامع والمَسَاجد وتنْزيهها عن الابتذال بما تُعَزُّ به وتُكْرم ، واشدُد من أعوان الحُكْم فى قَوْد أباة الخصوم .... وأوْعِز إلى المستخْدَمين بِحفْظ الشارع والحَارَات ، وحراستها فى جميع الأزْمنة والأوقات ، وواصل التَّطْواف فى كل ليلة بنفسك فى أوْفَى عِدَّة وأظهر عُدَّة ... وطالع مجلس النظر الأجلىّ المَلَكى بما تحتاج إلى علمه »[٤٧] .

وحَسَب ما ورد فى هذا السجل نجد أن والى القاهرة كان يَجْمع وظائف الحِسْبة والشُرْطة بالإضافة إلى مهامه الإدارية والتى تَشْمل فى الأساس تنفيذ أوامر الخليفة والمحافظة على الأمن والنظام ، والنظر فى قضايا العقوبات والإجرام وتولى تنفيذ الأحكام كالسجن أو التحذير أو الجلد ، بالإضافة إلى قيادة مواكب الخليفة فى أيام الركوب والمواسم والتى أتى على تفصيلها ابن الطُّوَيْر .

ومن ناحية أخرى فقد حَفَظ لنا القلقشندى نصَّ ثلاثة سجلَّات أخرى خاصة بتولية والى الفسطاط صادرة جميعُها أيضًا فى نهاية العصر الفاطمى يحدِّد فيها الخليفة مكانة الفسطاط بأنها « المجاوِرَةُ لمحلّ الخلافة ، وكلُّ مصْرٍ بالنسبة إليها معها بالإضافة ، وهى خِطَّة النيل وفُرْضة المَنيل ... ولا يؤهَّل لولايتها إلَّا كل حاملٍ لعبئها الثقيل ، ولا تُسْنَد الخدمة فيها إلَّا لكل مشْرٍ من ذخائر السياسة غير فقير ولا مُقِل »[٤٨] وأنها « من أنْفَس الولايات محلًّا ، وأثبتِها على غيرها فَضْلا ، بمجاوَرتها للمَقام الكريم ، وحُصُولها من استقلال الرِّكاب الشريف إليها على الشَّرَف العظيم ، واختِصاصها فى مَجَال الخلافة بما جَمَع لها بين الفَخْرين الحادث والقديم ، وأوْجَب لها على غيرها من البلاد مزيَّةً ظاهرةَ التكريم والتقديم ... »[٤٩] .

(٤٦) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٤١ – ٣٤٢ .
(٤٧) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٤٢ .
(٤٨) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٤٨ .
(٤٩) نفسه ١٠ : ٣٦٥ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين al-Tanẓīm al-ʿāṣima-al miṣrīya-al ʾidāratha wa fi al-fāṭimīyyīn.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وظهر دور والى القاهرة فى تنظيم مواكب الخليفة من خلال النصوص التى أوردها ابن الطُّوَيْر ووصف فيها المواكب العظام للدولة الفاطمية والتى استقر ترتيبها فى زمن خلافة الآمر مع مطلع القرن السادس . فقد كان لوالى القاهرة مكان فى الموكب يسير فيه[٣٧] ويتولّى مع صاحب الباب الوقوف على رأس الطرق لمنع المارة فى أيام جلوس الخليفة[٣٨] وكذلك ترتيب العساكر وحراسة الطرق التى يستخدمها الخليفة فى أيام الركوب[٣٩] .

موظف آخر كانت اختصاصاته مشابهة لصاحب الشرطة ، إلّا أنه كان يؤدى عمله فقط فى أثناء الليل هو « صاحب العَسَس » أو « متولى الطوف ليلًا » وكانت صلاحيات هذا الموظف ، الذى كان يعمل تحت إشراف الوالى ، تتضمن الإشراف على القصر الخِلَافى[٤٠] والقبض على السرّاق[٤١] ، كما كان يصحبه دائمًا عددٌ من السقَّائين والمَشَاعلية والنجَّارين والقَصَّارين والهدَّادين « خوفًا من أن يحدث فى القاهرة فى الليل حريقٌ فيتداركون إطفاءه »[٤٢] .

ولا يعنى اختفاء وظيفة « صاحب الشرطة » فى أواخر العصر الفاطمى أن « الوالى » كان يقوم تمامًا بصلاحيات هذه الوظيفة ، بل كان هناك موظف آخر لم يَرِد ذكره كثيرًا فى المصادر الفاطمية يتولى مهمة صاحب الشرطة هو « متولى المعونة » أو « والى المعونة » . وقد مَيَّز كتاب « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » المنسوب إلى ساويرس بن المُقَفَّع بين متولى المعونة بمصر (الفسطاط) ومتولى المعونة بالقاهرة الذى كان يشبه أن يكون نائبًا للوالى[٤٣] . وتبدو بعض صلاحياته من الأمر الذى أصدره له حُسَام الملك صاحب الباب عندما تَحوَّل الخليفة الآمر بأحكام الله إلى منظرة اللؤلؤة واهتم بسكن الدور المُطِلَّة على الخليج ، حيث أمره بالكشف عن الأدر المطلة على الخليج قِبْلى اللؤلؤة وأن لا يُمَكِّن أحدًا من السكن فى شىء منها إلَّا من كان له مِلْك كنوع من الاجراءات الأمنية ليقيم بها حواشى الخليفة لحراسته[٤٤] . والمرة الوحيدة التى صادفنى فيها ورود اسم « متولّى المعونة » فى وثيقة رسمية هى أمر الخليفة الآمر للأمير متولّى المعونة بمصر بقراءة سجل التعزية فى وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالى على منبر الجامع العتيق بمصر[٤٥] .

وللأسف لا تتوفر لدينا معلومات دقيقة عن الكيفية التى كان يدير بها الوالى القاهرة أو الفسطاط على السواء . ولكن من حُسْن الحظ أن القلقشندى حَفَظ لنا فى « صبح الأعشى » نصَّ سجلٍ خاص بولاية القاهرة صادر فى نهاية الدولة الفاطمية يحدِّد فيه الخليفة ، وهو فى الغالب الخليفة الفائز أو الخليفة العاضد ، مكانة مدينة القاهرة ومهام الوالى ومسئولياته . يَصِفُ فيه مكانة المدينة بقوله : « واعلم أنَّ

(٣٧) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٠ .
(٣٨) نفسه ٣ : ٥٠٣ .
(٣٩) المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٧ .
(٤٠) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٧٧ .
(٤١) المُسَبِّحى : أخبار ٩٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ١٨٨ .
(٤٢) المقريزى : الخطط ٢ : ١٠٣ .
(٤٣) ساويرس بن المقفع : تاريخ ٣ : ٣ ، ٢١ ، ٢٢ .
(٤٤) ابن المأمون : أخبار مصر ١٨ و ٩٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٨ .
(٤٥) نفسه ١٨ – ١٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٦٩ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الشرطة لم يكن كما يؤكد Goitein هو نفسه الوالى طوال العصر الفاطمى[٢٩] ، وإنما كانت هناك وظيفتان مختلفتان وإن كانتا متداخلتين فى الاختصاص : صاحب الشرطة والوالى . غير أنه طوال القرن الفاطمى الأول وحتى قُرْب نهاية القرن الخامس الهجرى كان الذى يَحْفَظ النظام فى المدينتين يُعْرف « بصَاحِب الشرطة » ، الموجود فى الفسطاط يسمى « صاحب الشرطة السُّفْلى » والموجود فى القاهرة يسمى « صاحب الشرطة العُلْيا » . أما مصطلح « الوالى » فلم يظهر فى مصادر العصر الفاطمى إلَّا مع نهاية القرن الخامس الهجرى . فالمُسَبِّحى ، الذى أَلَّف تاريخه فى أوائل حكم الفاطميين فى مصر ، يستخدم فقط مصطلح « صاحب الشرطة » أو « متولى الشرطة »[٣٠] ، ولا يذكر على الإطلاق لفظ « الوالى » بينما يقابلنا لفظ « الوالى » بكثرة عند المؤرخين الفاطميين المتأخرين وخاصة ابن المأمون وابن الطُّوَيْر اللذين لا يذكران مصطلح « صاحب الشرطة » على الإطلاق[٣١] . وهذا يعنى أن العاصمة الفاطمية لم تعرف فى القرنين الرابع والخامس للهجرة سوى وظيفة « صاحب الشرطة » التى اختفت بعد ذلك لتحل محلَّها وظيفة « الوالى » بحيث أن مسئوليات الشرطة والمحافظة على الأمن أصبحت من ضمن اختصاصات وظيفة « الوالى » .

ويبدو أن الشرطتين العُلْيا والسفلى كانتا تُجْمَعان لشخص واحد خلال القرن الفاطمى الأول . فالمُسَبِّحى يذكر أن بدر الدولة نافذ الخادم الأسود كان يتولى الشرطتين العليا والسفلى فى سنة ٤١٥[٣٢] ، وعندما تولَّى بَقِىّ الخادم الأسود الشرطتين فى العام نفسه نَظَر فى الحِسْبَة مضافًا إلى الشرطتين ثم صُرِفَ عن الحِسْبَة والشرطة بعد إعادة دَوَّاس بن يعقوب الكُتَامى لِلحسْبَة[٣٣] . يؤيد ذلك ما ذكره القلقشندى من أنه رأى فى بعض سجلات الفاطميين إضافة الحِسْبة بمصر والقاهرة إلى صاحبىَ الشرطة بهما أحيانًا[٣٤] .

ولا شك أن التطور الذى عرفته وظائف الإدارة فى العاصمة المصرية فى القرن السادس / الثانى عشر قد حدث فى أعقاب زوال الأزمات المتتالية التى تعرَّضت لها البلاد والعاصمة بصفة خاصة فى أواسط القرن الخامس / الحادى عشر . فقد اتضح النظام الإدارى للعاصمة ولسائر الإقليم بعد الإصلاحات الإدارية التى أدخلها نظام بدر الجمالى فى العقد السابع لهذا القرن والتى قسِّمت فيها مصر إداريًا إلى أربع ولايات رئيسية هى : قوص والشرقية والغربية والإسكندرية[٣٥] بالإضافة إلى القاهرة والفسطاط[٣٦] مما تطلَّب إنشاء وظائف ولاة لهذه الولايات الست كان يخرج لأصحابها ، الذين كانوا من أرباب السيوف ، سجلٌ من الخليفة .

(٢٩) Goitein, S. D., *op. cit*, II, p. 368 .

(٣٠) المُسَبِّحى : أخبار مصر ٣٠ و ٦٨ و ٨٩ و ١٠١ .

(٣١) ابن المأمون : أخبار مصر ٢٧ و ٣٥ و ٤٠ و ٤٧ و ٥٣ و ٦٩ و ٧٨ ، ابن الطُّوَيْر عند المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٧ .

(٣٢) المُسَبِّحى : أخبار مصر ٤٤ و ٤٧ و ٧٠ .

(٣٣) نفسه : ٤٧ .

(٣٤) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٣ وكذلك ١٠ : ٣٤٢ و ٤٢٣ .

(٣٥) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٣ – ٤٩٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٦ .

(٣٦) نفسه ٣ : ٤٨٠ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

إدارة العاصمة الفاطمية

والآن وبعد أن أوضحنا ما المقصود بالعاصمة المصرية وتعرَّفنا بصفة عامة على الخطوط العريضة لمظهرها الفيزيقى ، فلنَشْرَع فى رسم صورة تقريبية للطريقة التى كانت تُدَار بها هذه العاصمة ونتعرَّف على المرافق التى عرَفَتها والوظائف الحضرية التى أدَّتها[٢٦] .

لعله من الغريب أن المؤرخين المسلمين لم يقدِّموا لنا أبدًا صورة ولا حتى محاولة لشرح التنظيم المدينى للعاصمة المصرية فى زمن الفاطميين ، وإن كان الطابع الأكثر وضوحًا للعاصمة الفاطمية – إذا نظرنا إليها من زاوية إدارتها المدينية – هو الغَيْبَة شبه التامة للمؤسسات النوعية ، سواء منها ما يمثِّل المنظمات الجماعية للشعب أو تلك التى تنشئها السلطات الحاكمة ، وهذا النقص ليس مما يثير الدهشة على الإطلاق ، فقبل كل شىء وبصفة عامة ، فإن المدن الإسلامية لم تتَّبع نظامًا انتخابيًا فى اختيار موظفيها المسئولين عن شئون البلديات ، لأنها لم تجد فى الواقع ضرورة لتبنِّى نظام من هذا النوع ، إذْ يجب أن نتذكر أن المدينة الإسلامية لم تكافح أبدًا من أجل استقلالها كما فَعلَت المدن الأوربية والإيطالية منها بصفة خاصة ، فى نفس العصر ، وهذا هو السبب الذى من أجله لم تَعْرف المدينة الإسلامية نفس نَمَط المؤسسات النوعية الذى عرفته المدن الأوربية ، فقد كان موظفو المدينة الإسلامية أجمعون يختارهم الخليفة أو السلطان .

فمن هم إذًا هؤلاء الموظفون الذين اختارهم الخليفة لإدارة العاصمة الفاطمية ؟ وما دورهم ؟ وما هو التطور الذى طرأ على وظائفهم فى خلال العصر الفاطمى ؟

كانت إدارة العاصمة الفاطمية تستند إلى ثلاثة موظفين رئيسيين هم : الوالى وصاحب الشرطة والمُحْتسب بالإضافة إلى القاضى .

أولًا : الوَالى وصاحبُ الشُّرْطة

كان الوالى وصاحب الشرطة دائمًا من أرباب السيوف[٢٧] ، وكان الذى يتولى وظيفة الوالى يُعَد من ذوى المكانة العالية فى الدولة[٢٨] . وقبل أن نوضِّح واجبات هذه الرتبة يجب أن نذكر أن صاحب

(٢٦) فى غياب مصادر العصر الفاطمى فقد اعتمدت على المصادر المتأخرة التى اعتمدت على المصادر الفاطمية التى فقدت اليوم وقد حرصت على تتبع هذه المصادر والتأكد من أن المعلومات التى يوردها كل من المقريزى والقلقشندى تعود بالفعل إلى العصر الفاطمى . كذلك فإن كتب الفتاوى والحِسْبَة لا تصلح لدراسة العصر الفاطمى لأن أول كتاب فى الحسبة كتب فى مصر الإسلامية وهو « نهاية الرتبة » للشَيْزرى كتب فى العصر الأيوبى كما أن وثائق وحُجَج الأوقاف يرجع أقدمها إلى الصالح طلائع بن رُزِّيك وتختص بالريف المصرى والوثائق الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها هى وثائق الجنيزة .

(٢٧) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٨ – ٤٨٠ .

(٢٨) نفسه ٣ : ٤٨٠ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وتبعًا لما يورده المُسَبِّحى فقد كان ثَمَن راوية الماء المحمولة على ظهور البغال فى سنة ٤١٥ درهمين ، بينما بلغ ثمن الراوية المحمولة على ظهور الجمال ثلاثة دراهم[٢٠] .

أما مَوْرَدَة السقائين التى كان يحمل منها السقاؤن المياه إلى أهل القاهرة فكانت تقع على الشاطئ الشرقى للخليج خارج باب سعادة[٢١] . وقد أقام السلطان الصالح نجم الدين أيوب فى موضعها فى سنة ٦٣٩ قنطرة عرفت بقنطرة باب الخَرْق لينتقل عليها إلى الميدان السلطانى الذى أقامه فى أرض اللوق على الجانب الغربى للخليج[٢٢] .

وهكذا فقد لعب السقاؤون فى القاهرة والفسطاط على السواء طوال العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة دورًا بارزًا . ففى العصر الفاطمى كان لهم رؤساء ينوبون عنهم فى علاقتهم مع الدولة كان الواحد منهم يعرف « بالعريف » فابن المأمون يذكر فى حوادث سنة ٥١٧ أن الوزير المأمون البطائحى أمر والىّ القاهرة والفسطاط باستدعاء عُرَفَاء السقائين وأَخْذ الحُجَج على المتعيِّشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دَعَت الحاجة إليهم ليلًا ونهارًا ، وأن يُعْتَمد ذلك كذلك فى القِرَبِيِّين ، وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفَعَلة بالطوارى والمَسَاحى[٢٣] .

* * *

ورغم أننا لا نملك تفصيلات دقيقة عن وسائل النقل فى العاصمة الفاطمية فيمكننا أن نظن أن الانتقال الداخلى فى القاهرة والفسطاط وبين البلدين كان يتم بواسطة ركوبات تؤجَّر . على كلٍ فناصر خُسْرو يروى أن كبار التجار وصغارهم فى الفسطاط كانوا يتوجهون من منازلهم إلى الأسواق ممتطين الحُمُر المسرجة . ويضيف ناصر أنه كان فى كل حى على رأس كل شارع مجموعة من الحمير عليها بَرَادِع مُزَيَّنَة مُعَدَّة للإيجار مقابل أجر زهيد . وفيما يقال فإنه كان هناك نحو خمسين ألف بغلة معدة للركوب كل يوم . ولم يكن يَسْتَخْدم الخيل سوى الأجناد والعسكريون أما التجار والحِرَفيون ورجال الأقلام فكانوا يركبون الحمير[٢٤] .

وكانت الحيوانات المُعَدَّة للركوب جاهزة فى مواقف توجد على رؤوس الشوارع الرئيسية وأسواق الفسطاط . كما كانت مواقف الحمير فى القاهرة تقع على العموم بالقرب من مداخل المدينة . فابن سعيد ، فى أواسط القرن السابع ، يذكر أن من كان يريد التوجُّه من القاهرة إلى الفسطاط يجد عند باب زُوَيْلَة عددًا لا يحصى من الحمير ، لم يجد مثيلًا له فى بلد آخر ، معدًا لذلك[٢٥] .

(٢٠) المسبحى : أخبار ٦٩ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٦٢ .

(٢١) ابن المأمون : أخبار ٣٧ – ٣٨ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٤١٢ .

(٢٢) المقريزى : الخطط ٢ : ١٤٧ .

(٢٣) ابن المأمون : أخبار ٦٩ – ٧٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٣ والاتعاظ ٣ : ١٠٠ .

(٢٤) ناصر خسرو : سفرنامة ١٠٥ .

(٢٥) ابن سعيد : المغرب ٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٤١ ، المقرى : نفح الطيب (بيروت ١٩٦٨) ٢ : ٣٣٩ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين .faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وراويته مغطاة ، وعلى كل صاحب حانوت أن يجعل أمام حانوته زيرًا مملوءا بالماء مخافة أن يحدث الحريق فى مكان فيطفأ بسرعة ، كما أن كل صاحب حانوت كان يلزم بأن يعلق على حانوته قنديلًا طوال الليل يَسْرج إلى الصباح . كما كان يوجد فى القَصَبة قوم يكنسون الأزبال والأتربة ونحوها ويرشون كل يوم . كان بالقصبة كذلك ، فى أغلب الظن قرب نهاية العصر الفاطمى ، عدد من الخفراء يطوفون طول الليل لحراسة الحوانيت وغيرها . وكان يتم كذلك على فترات متقاربة قطع ما عساه قد تربى من الأوساخ فى الطرقات حتى لا تعلو الشوارع[١٤] .

وقد كان من العوائد أيضًا أنه إذا قدم رسول بلد أجنبى ينزل من باب الفتوح ويُقَبِّل الأرض وهو ماشٍ إلى أن يصل إلى القصر الفاطمى ، وكذلك كان يفعل كل من غَضِبَ عليه الخليفة فإنه يخرج إلى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمصير إلى القصر[١٥] .

٣ – الخدمات العامة

لم تعرف العاصمة الفاطمية « الخدمات العامة » بمعناها المتعارف عليه اليوم . فقد كان نقل المياه والنقل الداخلى والصحة العامة على سبيل المثال موكلة إلى مهنيين متخصصين كان نشاطهم يجرى بعيدًا عن أى تدخُّل من السلطات .

وقد أخذت مشكلة نقل المياه إلى سكان العاصمة الفاطمية تزداد حِدَّة مع الزمن سواء فى القاهرة أو فى الفسطاط بعد أن أخذ مجرى النيل ينحسر نحو الغرب على فترات متباعدة فالسبع سقايات التى أقامها الوزير ابن الفرات فى نهاية عصر الدولة الإخشيدية فى شمال غرب الفسطاط بالقرب من بركة قارون كانت تستمد ماءها من الآبار التى حفرت فى الموضع الذى انحسر عنه النيل[١٦] . وقد شكَّل تزويد أهل المدينتين بالمياه الصالحة للشرب أزمة بالنسبة للمرور داخل العاصمة . فقد تطلب احتياج العاصمة الفاطمية من المياه تخصيص عدد كبير من الجمال يصل كما قدَّره ناصر خسرو إلى نحو ٥٢ ألف جمل تحمل المياه فى روايا كبيرة ، بالإضافة إلى السقائين الذين كانوا يحملون على ظهورهم جرارًا نحاسية أو قِرَب من الجلد وذلك فى الحارات الضيقة التى كان يتعذَّر على الجمال السير فيها[١٧] . ويضيف ناصر خسرو أن ماء الشرب كان يُجْلَب دائمًا من النيل وأن الآبار القريبة من النيل عذبٌ ماؤها بينما تزداد ملوحة المياه كلما ابتعدنا عن مجرى النهر[١٨] . ثم يذكر أنه رأى قدورًا من النحاس الدمشقى ، كل واحد منها يسع ثلاثين منًّا كانت من الطلاوة بحيث يظنها المرء من الذهب ، وأنه حُكِيَ له أن امرأة كانت تملك خمسة آلاف قِدْر ، وأنها تؤجِّر الواحد منها بدرهم فى الشهر ، وكان ينبغى على مستئجرها أن يردها سليمة[١٩] .

(١٤) المقريزى : الخطط ٢ : ١٠٧ .
(١٥) المقريزى : الخطط ٢ : ١٠٧ .
(١٦) نفسه ٢ : ١٣٥ ، ١ : ٣٠٥و ٢ : ١١٦ و ١٦١ .
(١٧) ناصر خسرو : سفرنامة ٩٠ – ٩١ .
(١٨) نفسه ٩١ و ١٠٤ .
(١٩) نفسه ١٠٤ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الخليفة فى الأسبوع[١٠] . ومن ناحية أخرى فإن على بن رضوان الطبيب يمدُّنا بوصف فريد لمدينة القاهرة نحو منتصف القرن الخامس الهجرى ، يقول : « ويلى الفسطاط فى العِظَم وكثرة الناس القاهرة ، وهى فى شمال الفسطاط .. وليس ارتفاع الأبنية بها كارتفاع الفسطاط لكن دونها كثيرًا وأزقتها وشوراعها بالقياس إلى أزقة الفسطاط وشوارعها أنظف وأقل وسَخًا وأبعد عن العَفَن . وأكثر شرب أهلها من مياه الآبار . وإذا هبَّت ريح الجنوب ، أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيئًا كثيرًا ، وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الأرض مع سخافتها موجب ضرورةً أن تكون يصل إليها بالرَشْح من عفونة الكَنَف شيء ما . وبين القاهرة والفسطاط بَطَائِح تمتلئ من رَشْح الأرض فى أيام فيض النيل ، ويصب فيها بعض خَرَّارات القاهرة ، ومياه البَطَائح هذه رديئة وَسِخَة أرضها ، وما يَصُبّ فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائدًا فى رداءة الهواء بهما . ويُطْرح فى جنوب القاهرة قذرُ كثير نحو حارة البَاطِلِيَّة ، وكذلك يُطْرح فى وسط رحبة [باب] العيد إلَّا أنه إذا تأملنا حال القاهرة كانت بالإضافة إلى الفسطاط أعْدَل وأجود هواءً وأصلح حالًا لأن أكثر عفوناتهم تُرْمى خارج المدينة ، والبخار ينحل منها أكثر ، وكثيرٌ أيضًا من أهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة فى أيام دخوله الخليج ، وهذا الماء يُسْتقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها[١١] .... فمن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت فى دورهم من السنانير والكلاب ونحوها من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم فتَعْفَن وتخالط عفونتها الهواء ، ومن شأنهم أيضًا أن يرموا فى النيل ، الذى يشربون منه ، فضول جيواناتهم وجِيَفِها وخرَّارات كَنَفِهم تصُبّ فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء »[١٢] .

هذا النقد اللاذع الذى وجَّهه على بن رضوان إلى موقع الفسطاط وعادات أهلها هو الذى جعل الدول المتعاقبة تبحث عن موضع فى الجهة الشمالية جيد الهواء ، وهذا هو سبب امتداد القاهرة دائمًا فى اتجاه الشمال والغرب .

وقد أدَّى إلقاء الناس لمخلفاتهم فى الخليج الذى يحمل المياه إلى القاهرة خلال الشهور الثلاثة التى تعقب الفيضان ، أدَّى إلى سد الخليج نحو نهاية القرن الخامس الهجرى بحيث تعذَّر دخول المراكب إليه إلَّا بمشقة ، لذلك فقد جُدِّد حفره فى سنة ٥٠٢ هـ وعُيِّن له وال مفرد بجامكية ومُنِعَ الناس من أن يلقوا فيه شيئًا[١٣] .

وفيما يلى نُجْمل العوائد التى كانت متبعة فى القاهرة والتى توضِّح تنظيم المدينة : فلم يكن يُسْمَح بمرور حَمْل تبن ولا حمل حَطَب بَقَصَبَة القاهرة ، ولا يسوق أحد فرسًا بها ، ولا يمر بها سقاء إلَّا

(١٠) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٠١ .
(١١) ابن رضوان : دفع مضار الأبدن – خ ٩ ظ – ١٠ والمقريزى : الخطط ١ : ٣٦٥ – ٣٦٦ .
(١٢) نفسه ١٠و ، نفسه ١ : ٣٣٩ – ٣٤٠ .
(١٣) المقريزى : اتعاظ ٣ : ٤٣ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين .faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الخليفة الآمر بأحكام الله فى نهاية سنة ٥٢٤ ، وكان ميدان بين القصرين هو مسرح هذه الاضطرابات المتتالية والتى تكرَّرت فى سنوات ٥٢٤ ، ٥٢٦ و ٥٢٩ و ٥٣١ وفى فترة الأزمة بين شَاوِر وضِرْغَام .

وإذا كانت المصادر لم تمُدّنا بمعلومات كافية عن الإجراءات التى اتخذتها الحكومة الفاطمية لمواجهة هذه الاضطرابات ، ولا الدور الذى كان يقوم به الوالى فى زمن هذه الأزمات ، وإذا لم نكن نعرف أيضًا أين كان يقيم الوالى ومساعدوه فى مدينة القاهرة ، ففى المقابل أمدتنا المصادر بطريقة غير مباشرة بمعلومات عن دور الوالى فى وقت ركوب الخليفة وخروجه للاحتفالات العامة ، حيث كان واجب الوالى الأساسى هو تأمين الطريق الذى يسلكه موكب الخليفة والإشراف على من يتولون استقبال الخليفة وتوديعه[٥] .

٢ – التنظيم

كان اهتمام الحكومات طوال العصر الإسلامى وإلى وقت غير بعيد ، فيما يخص التنظيم وإدارة الطرق ، لا يتجاوز حدًا متواضعًا كتنظيف الشوارع وإزالة الأنقاض التى تهدِّد بسَدِّها . وبفضل فقرات مطوَّلة من تاريخ المُسَبِّحى ، حفظها لنا المقريزى ، نستطيع أن نصف بقدر كبير من الدقة كيف حوفظ على نظافة المدينة ونظامها العام فى الخمسين عامًا الأولى لحكم الفاطميين . ولكننا للأسف لا نملك تفصيلات مماثلة فيما يخص بقية التاريخ الفاطمى .

فالمُسَبِّحِى وهو يسرد أحداث سنة ٣٨٢ يذكر أن السقَّائين أُمِروا أن يُغَطُّوا روايا الجمال والبغال لئلا تصيب ثياب الناس[٦] . ويقول المؤرخ نفسه فى حوادث سنة ٣٨٣ إن الخليفة العزيز بالله أمر بأن تُنْصب أزيارٌ مليئة بالماء على الحوانيت وأن توقد المصابيح على الدور فى الأسواق[٧] . ويمدنا المُسَبِّحى كذلك بالمعلومات التالية عن فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله . ففى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ مُنِع كل من يركب مع المكاريين أن يدخل من باب القاهرة راكبًا ولا المكاريين أيضًا بحميرهم وأن لا يجلس أحدٌ على باب الزُّهُومة من التجار وغيرهم وأن لا يمشى أحدٌ ملاصق القصر الفاطمى من باب الزُّهُومة إلى أقصى باب الزُّمُرُّد ... إلَّا أنه قد أعفى المكاريون فيما بعد من ذلك وقرىء لهم أمانٌ بهذا المعنى[٨] . وفى السنة نفسها أمر الخليفة الحاكم بكَنْس الأزِقَّة والشوارع وأبواب الدور فى كل مكان[٩] ، وغالبًا ما أمر أيضًا برش الشوارع والأزقة حتى لا يعيق الغبار والتراب الحركة فى المدينة .

ويذكر المقريزى ، فى أغلب الظن عن طريق ابن المأمون ، أن واليَ القاهرة ومصر كانا يأخذان جميع السقائين أرباب الجمال والدواب لرَشّ ما بين البلدين سُخْرة بغير أجر فى اليومين اللذين يركب فيهما

(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٣ و ٤٦٧ .
(٦) المقريزى : الخطط ٢ : ١٠٨ واتعاظ ١ : ٢٧٦ .
(٧) نفسه ٢ : ١٠٨ .
(٨) المسبحى : نصوص ضائعة ٢٢ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨ والاتعاظ ٢ : ٥٧ .
(٩) المقريزى : الخطط ٢ : ٥٦ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين .faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ورغم الاضطرابات السياسية والأزمات الاقتصادية المتتالية التى مَرَّت بها العاصمة المصرية طوال العصر الفاطمى ، والتى ظهر تأثيرها بوضوح على الأخص فى الفسطاط حيث أصابت بقسوة الأحياء العباسية والطولونية القديمة الواقعة شمال شرق الفسطاط ، فلم تفقد هذه المدينة على الإطلاق مركزها التجارى والاقتصادى حتى بعد حريقها المُتَعَمَّد الذى تم فى سنة ٥٦٤ / ١٠٦٨ ، فقط تراجع دورها تدريجيًا وأخذت القاهرة تحل محلها خاصة بعد أن نقل الأيوبيون – خلفاء الفاطميين – مركز حكمهم من القاهرة إلى قلعة الجبل ، وبذلك فتحت المدينة المُحَصَّنَة أبوابها على مصراعيها لتستقبل لأول مرة جميع طبقات الشعب المصرى .

وكان مما يميّز العاصمة المصرية فى هذا الوقت ، والفسطاط على وجه خاص ، امتزاج سكانها من مسلمين وأقباط ويهود . فلم تعرف الفسطاط الـ Ghetto الدينى أو الحِرَفى ، بل إن الدار الواحدة كان يقيم بها جنبًا إلى جنب ، كما نعرف من وثائق الجنيزة ، المسلمون والأقباط واليهود ، كما كان كثير من المسلمين يَعْمَلون لدى اليهود وكثير من اليهود يعملون لدى الأقباط[٣] .

أما توزيعات الأحياء فى كل من المدينتين فقد أخذت تسميات مختلفة وكان توزيعها يتم فى أغلب الأحوال على أساس عِرْقى وقد أُطْلق عليها فى الفسطاط لفظ « خِطَّه » بينما أطلق عليها فى القاهرة لفظ « حارة » وشرح هذين المصطلحين هنا وبيان مدلولهما يخرج بنا عن موضوع هذه الدراسة[٤] .

تَنْظِيم العَاصِمَة

بالرغم من قلة عدد المؤسسات الحضرية الموجودة بالعاصمة الفاطمية ، فقد كان النظام العام محفوظًا داخل المدينة . وكانت الوظائف الحضرية مُؤَمَّنَة بالنسبة للأساسيات ، فى غيبة تلك الجماعات المتخصصة ، بفضل بعض المنظمات الذاتية وشبه التلقائية .

١ – النظام العام

فقد كان النظام محفوظًا بطريقة مرضية فى القاهرة فى خلال القرن الفاطمى الأول وحتى فترة قليلة بعد زيارة ناصر خسرو لها ، ولكن لم تلبث أن عمَّت الفوضى فى فترة الاضطرابات السياسية وصراع فرق الجيش الفاطمى المختلفة فى منتصف القرن الخامس الهجرى . ورغم الهدوء النسبى الذى ساد القاهرة بعد ذلك وحتى أوائل القرن السادس الهجرى فقد بدأت الاضطرابات من جديد فى أعقاب وفاة

(٣) Goitein, S. D., *A Mediterranean Society*, Berkeley . 1983 , IV , p. 46

(٤) المقريزى : الخطط ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢ : ٢ ، وراجع Garcin , J. Cl., « Toponymie et topographie urbaines médiévales à Fustaṭ et au Caire », *JESHO* XXVII (1984), pp. 113 - 155; Fu'aḍ Sayyid, A., La *capitale de l'Egypte à l'époque fatimide,* thèse à paraitre .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين(*).

للدكتور أيمن فؤاد سيد

هذه محاولة لتقديم صورة قريبة لما كان عليه النظام المدينى أو الحَضَرى للعاصمة المصرية فى زمن الفاطميين : وأعنى بالعاصمة مدينتى « القَاهِرَة » و « الفُسْطاط »[1] . فقد كانت الفُسْطاط فى العصر الفاطمى ، وظلَّت لفترة غير قصيرة بعد سقوط الفاطميين ، هى مدينة مصر الرئيسية ومركز نشاطها الاقتصادى والصناعى والعلمى . بينما كانت القاهرة هى مقر الحكومة الفاطمية ومركز الدولة الإدارى والسياسى والمعقل الرئيسى لنشر الدعوة الإسماعيلية ، ويُكَوِّن مجموع المدينتين – اللتين كان يفصلهما عن بعضهما نحو الميلين – العاصمة المصرية فى العصر الفاطمى .

وكانت عاصمة مصر أو « المدينة الكبرى » ، كما أَطْلَق عليها على بن رضوان الطبيب فى النصف الأول للقرن الخامس / الحادى عشر ، تتكوّن من أربعة أجزاء : الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة ، وكان أعظم هذه الأجزاء الفسطاط ويليها فى العِظَم وكثرة الناس القاهرة[2] .

وكانت شُهْرة الفسطاط وسمعتها كمَعْقل لأهل السنة بفضل جامعها العتيق ، وكمركز تجارى بسبب قربها من شاطئ النيل وبسبب التقاء طرق التجارة القادمة من البحر الأحمر والبحر المتوسط وداخل إفريقيا عندها تُغَطِّى على القاهرة المركز الإدارى والمدينة المُحَصَّنة التى كان يُحْظر دخولها على غير قاطنيها ، الذين كانوا من رجال البلاط ورجال الحكم وطوائف الجُنْد ، إلَّا بإذن خاص .

(*) هذه الدراسة كانت موضوع محاضرة ألقيت فى ندوة « الإدارة فى مصر عبر العصور » التى نظَّمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة فى الفترة من ٧ إلى ٩ مارس ١٩٨٧ .

(١) تُمَثِّل مصر فيما يخص الإدارة وضعًا خاصًا بين أقاليم العالم الإسلامى الأخرى أولًا بسبب احتفاظها بعددٍ وفيرٍ من أوراق البَرْدى ومن الأوراق الرسمية ، وثانيًا بسبب أصالة مؤلفاتها الإدارية .

وقد ساعدت الطبيعة المركزية للإدارة المصرية على كتابة العديد من المؤلفات الإدارية والمالية الشاملة التى حلَّت فى العصور المتأخرة محل أوراق البردى . ويجىء فى مقدمة هذه المؤلفات كتاب « المِنْهَاج فى عِلْم خَرَاج مصر » للمَخْزومى وكتاب « قوانين الدواوين » لابن مَمَّاتى وكتابا « لُمَعْ القوانين المُضيَّة » و « تاريخ الفيوم » للنابُلْسى . ثم تأتى فى مرحلة تالية لهذه المؤلفات كتابات موسوعى عصر سلاطين المماليك مثل « نِهَايَة الأَرَب » للنُوَيْرى و « مَسَالك الأَبْصَار » لابن فَضْل الله العُمَرى و « مَبَاهِج الفِكَر » للوطواط الكتبى و « التُحْفَة السَّنِيَّة » لابن الجَيْعان و « صُبْح الأعْشى » للقَلْقَشَنْدى وأخيرًا « خِطَط » المَقْريزى .

وإذا كانت هذه المؤلفات قد تناولت الإدارة بمعناها الشامل لمصر الإسلامية ، فعلى العكس من ذلك تعد المؤلفات التى تناولت الحديث عن الإدارة المدينية قليلة جدًا بل نادرة .

(٢) على بن رضوان : دَفْع مَضَار الأَبْدَان بأرض مصر (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٣٦ طب) ٩و ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

AnIsl 24 (1989), p. 1-13 Ayman Fu'ād Sayyid
.faṭimīyyīn-al zaman fi 'idāratha wa miṣrīya-al 'āṣima-al Tanẓīm تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها فى زمن الفاطميين
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net